رينيه ويليك وكتابه

تاريخ للنقد الحديث

١٧٥٠ - ١٩٥٠

« الى حسام الخطيب »

عبد النبي اصطيف

ربما لم يكن من المبالغة القول انرينيه ويليك René Wellek من أعظم مؤرخي النقد الحديث وفلاسفته ، وأوسعهم تأثيراً على التطورات النقدية الحديثة التي تمت في العالم الأنكلو ـ أمريكي على الأقل ٠

والحقيقة أن الاشارات الكثيرة ـ التي لا يكاد يخلو منها أي كتاب نقدي جاد صدر في العقودالثلاثة الأخيرة ـ الى كتبه، ما هي الامؤشر واحد على مدى هذا التأثير ٠ وربما كانت تجربته في التعامل مع النقد الأدبي منأنضج التجارب وأكثرها جدوى ٠ وسبب ذلك فيما يبدو لي أنه استطاع أن يجمع عصارةتجارب الشرق والغرب معاً في كتاباته ٠ فقد استطاع من خلال مشاركته في « **حلقة براغاللغوية** » **Cercle Linguistique de Prague** التي كانت في نشاطاتها اللغوية والنقدية معاًاستمراراً لمجهودات **شكليي روسيا** **Russian Formalists** ، ومن خلال تمرسه بالنظرية الجمالية الألمانية ، ومتابعته للنظريات الأدبية والنقدية التي طورهاالعالم الأنكلو ـ سكسوني ، ثم العالم الأمريكي ، أن يتمثل تجارب واسعة وخصبةومتنوعة يندر أن تتاح لغيره ٠ وكذلك فان معرفته للغات عديدة من بينها الفرنسيةوالانكليزية والتشكيلية والروسية والايطالية والاسبانية ، يسرت له الاطلاع مباشرة علىالنصوص النقدية الهامة في هذه اللغات دون اللجوء الى الترجمات ، وبالتالي جعلتتحليلاته واستنتاجاتهفي النقد الأدبيوالدراسة الأدبية والأدب المقارن تستند الى أرضيةمتينة وأساس ليس من السهل زعزعته أو التشكيك فيه أو تحديه ٠

ولذلك فانه ليس من الغريب أن نقععلى عبارة « الى رينيه ويليك » على الأغلفة الداخلية لكثير من الكتب النقدية(١) التيظهرت في العقود الأربعة الأخيرة ، اعترافاً

بفضله على الحركة النقدية المعاصرة ،وبأهمية اسهاماته التي لا تضارع في منهجيتها ووضوحها وتألقها وعمقها • وليس عجيباً أن نرى الجامعات البارزة في القارة الأوربية (أكسفورد ، روما وغيرها) والولايات المتحدةالأمريكية (هارفرد) وغيرها تتسابق الى منح رينيه ويليك درجات الدكتوراة الفخرية،وأن تختاره أبرز المجلات المتخصصة في شؤون النقد والدراسة الأدبية والأدب المقارن ليكونمن بين مستشاريها(٢)، وأن تضمه الهيئات العلمية والأكاديمية العالية الى عضويتها(٣) ،وأن نرى اسمه يتصدر المشاركين في المؤتمرات الدولية التي تعنى بالأدب والنقد واللغوياتوالأسلوبيات وفن الشعر Poetics .

لست أنكر أن سطوري هذه تشي بالكثيرمن الاعجاب والتقدير • ولكن ذلك ما هو الا اعجاب بالمقدرة الانسانية غير المحدودة علىالابداع والتطوير ، والتقدير لخبرة السنوات الطويلة التي أمضاها الرجل في صبحة النقدوالنقاد ، ولهذه الثروة الفريدة التي تتراءى للقارىء وراء نسيج كتاباته •

* * *

ولد رينيه ويليك في فيينا عام ١٩٠٦لأبوين تشيكيين ، ونشأ في براغ وتعلم فيها حيث حصل على درجة الدكتوراة من جامعةتشارلز فيها عام ١٩٢٦ ، وهي سن مبكرة حقاً • ثم مضى الى الولايات المتحدة الأمريكيةوأمضى فيها زمناً يحاضر في عدد من جامعاتها، ليعود الى انكلترا عام ١٩٣٥ ويدرس في« **مدرسة الدراسات السلافية** » في جامعة لندن حتى عام ١٩٣٩ ، عندما عاد ثانية الىالولايات المتحدة واستوطن فيها بعد أناكتسب الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٦ • هذا وقددرّس هناك في عدة جامعات من بينها آيوا وييل حيث اختير بروفيسور سترلنغ للأدبالمقارن الى سنة تقاعده في ١٩٧٢، وهو الآن بروفيسور فخري للأدب المقارن في جامعة ييل•

والحقيقة أن بيبليوغرافيا رينيه ويليكأكبر دليل على أهمية اسهاماته فهي تضم (الى جانب مجموعة من الكتب الهامة التيتعد مرجعاً لا غنى عنه لأي دارس للنقد الحديث أو الأدب المقارن في العالم) ما يقربمن مائة فصل في الأدب والنقد ظهرت في مختلف الكتب النقدية ؛ وأكثر من خمسين مقالةمطولة ، وما يقرب من ثمانين مراجعة نقدية اضافة الى عشرين مقالة متنوعة(٤) • ورغمأنه قد قارب العقد التاسع الا أنه ما زال ينتج ويشاركما وسعه الجهدفي شتى الفعاليات المتصلة بالنقد الحديث والمعاصر أو الأدب المقارن •

أما قائمة كتبه فتشمل :

١ ـ « **ايماز ويل كانت في انكلترا : ١٧٩٣ ـ ١٨٣٨** »
نشرته برنستون عام ١٩٣١ ٠

٢ ـ « **نهوض التاريخ الأدبي الانكليزي** » :
نشرته له مطبعة جامعة كارولانيا الشمالية عام ١٩٤١ ٠

٣ ـ « **نظرية الأدب** » (**بالاشتراك مع أوستن وارين**) :
نشر في نيويورك عام ١٩٤٩ ٠

٤ ـ «**تاريخ للنقدالحديث**» **١٧٥٠ـ١٩٥٠** :
فيخمسة أجزاء نشر منها أربعة حسب الجدول التالي :

ـ المجلد الأول ١٩٥٥ في ييل ولندن
ـ المجلد الثاني ١٩٥٥ في ييل ولندن
ـ المجلد الثالث ١٩٦٦ في ييل ولندن
ـ المجلد الرابع ١٩٦٦ في ييل ولندن

(وقد أعلن عن المجلد الخامس الا أنهلم يظهر حتى الآن)

٥ ـ « **مواجهات : دراسات في الصلاتالفكريةوالأدبية بين ألمانيا وانكلترا والولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر** »

ونشر في برونستون في عام ١٩٦٥ ٠

٦ ـ « **النظرية الأدبية وعلم الجمال لدى مدرسة براغ** »
نشر في ميبيغان عام ١٩٦٩ ٠

٧ ـ « **مفهومات النقد** » من تحرير وجمع ستيفن نيكولس الابن
نشر في ييل عام ١٩٦٣ ٠

٨ ـ « **تمييزات** » **مفهومات أخرى في النقد :** صدر عن جامعة ييل عام ١٩٧٠ ٠

اضافة الى كتابه القيم عن الأدبالتشيكي « **مقالات في الأدب التشيكي** » نشر في لاهاي في هولندا عام ١٩٦٣(*) ٠

★ من أجل العناوين الأصلية لهذه الكتب انظر الثبت الكامل لمؤلفات ويليك والملحق بهذه المقالة ٠

وهكذا فان لرينيه ويليك حضوراً كثيراًفي حركة النقد الحديث والمعاصر لا يمكن تجاهله • ومن المؤسف حقاً أن القارىء العربي لم يقرأ له معرباً غير كتاب واحد هو « **نظرية الأدب** » الذي ترجمه محيي الدين صبحي وراجعه د• حسام الخطيب ، ومجموعة من المقالات المتناثرة هنا وهناك والتي لايتجاوز عددها أصابع اليد الوحدة(٥) ، رغم أن كتاباته النقدية تتمتع بدرجة كبيرة من الغنىوكثافة النسيج والعمق والوضوح كما يقول الدكتور الخطيب عنه يتحدث ويكتب « **بوضوح لا يحول دون العمق ، وكثافة لا تحول دون الرشاقة** »(٦) •

★ ★ ★

لست أريد في هذه السطور المحدودة أنأتوقف عند انجازات ويليك جميعها فهي أكبر من يستوعبها كتاب بَله مقالة موجزة لهذه ،ولكني أريد أن أنتهز فرصة صدور الجزئين الأولين من كتابه العظيم « **تاريخ للنقد الحديث : ١٧٥٠ ــ ١٩٥٠** » مجدداً في طبعة ذات غلاف ورقي وبسعر رخيص نسبياً (الجزءالأول بتسعة جنيهات ، والثاني بعشرة) عن مطبعة جامعة كامبريدج(٧) ، لأتحدث عنتاريخه،بشكل مجمل وأتوقف وقفة غير متأنية عند الجزء الثاني منه وأخص به العصر الرومنتي لأسباب عديدة منها :

١ ــ أن اهتمام ويليك بهذا العصر لا يقتصرعلى هذا الجزء اضافة الى كونه مبكراً نسبياً، فقد سبق له أن نشر مقالتين مطولتينعن مصطلح الرومنتيةهما «مصطلح الرومنتية في التاريخ الأدبي » و « الرومنتية اعادة فحص »(٨) وتعتبران من الوثائق الهامة جداً في دراسة هذا المصطلح • وذلكالى جانب كتابه القيم « **مواجهات : دراسات في الصلات الفكرية والأدبية بين ألمانياوانكلترا والولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر** » الذي يدرس فيه الرحلةالرومنتية بين ألمانيا وانكلترا وأمريكا •

٢ ــ أن ويليك يعتبر الى حد بعيد وحيدأفي محاولته اخضاع هذه الحركة الهامة من الحركات الفنية التي شملت كل مظاهر التعبير الفني من أدب ورسم وموسيقا الى **نوع من التأطير والنظاميكسبها الوضوح ويساعد القارىء على ادراك ملامحها الرئيسة** •

٣ ــ أنه منأبرز من استطاعدراستهامن وجهة**نظر مقارنة أولا وضمن سياقها العام** السياسي والفلسفي والفكري والثقافيثانياً ، وبالتالي فان دراسته اذا ما قارناها بغيرها أكثر صلة بواقع حال هذه الحركة •

٤ ــ أنها ترتكز على **اطلاع مباشر على وثائق هذه الحركة** • فرينيه ويليك ملم بجميع

اللغات الضرورية لدراستها وهذا يتيح له أن يقرأ مصادرها بلغاتها الأم دون أن يلجأ الى ترجمات غيره ، وبالتالي فهو على أرض أكثر صلابة من غيره ·

٥ ـ أن **الحركة الرومنتية قد تركت آثاراً واضحة في الأدب العربي الحديث بشكل عام والشعر الغنائي منه على وجه خاص** ·وتقديم كتاب ويليك سوف يساعد القارىء العربي بالتأكيد على الاطلاع على خلفية هذا المؤثر العام الذي غالباً ما عانت دراسته من الابتسار والتسرع والتجريد والبعد عن السياقات الأساسية لهذه الحركة من جهة ولظروف تأثيرها من جهة أخرى ·

★ ★ ★

يقع كتاب ويليك في خمسة أجزاء كماسبق ذكره ، نشر أربعة منها حتى الآن ، وحتى يتم وضع الجزء الثاني من الكتاب في سياقه الصحيح فاني سأقدم اشارة موجزة جداً للأجزاء الثلاثة الأخرى قبل أن أعرض بشيء من التفصيل المحدود للجزء الخاص بالعصر الرومنتي والذي اخترته للأسباب الذي قدمت سابقاً ·

١ ـ **المجلد الأول : « أواخر القرن الثامن عشر »** ، ويناقش فيه المؤلف الكلاسية الجديدة، وفولتير وديدور ، ودكتور جونسون ،والنقدين الفرنسي والايطالي في تلك الفترة، اضافة الى النقاد الانكليز والاسكوتلانديين ، ويخصص فصولا أخرى للسنغوهر ر وغوته وكانت وشيلر ·

٢ ـ **المجلد الثاني : « العصر الرومنتي »** ،ويدرس فيه ويليك فريدريك شليغل ، وأوغست فيلهيلم شليفل ، وشلنغ ،ونوفاليس ، وتيك ، وجان بول ، وجفري ، ووردزورث ، وكولريدج ، وهازليت ، ولامب ، وكيتس ، ومدام دوستايل ، وشاتوبريان ، وستاندال وهوغو ،والنقاد الايطاليين والألمان الشباب ، وغروس، والأخوة غريم · وأرنيم · وكلايست، وآدم مولر · ثم يتناول بعد ذلك الفلاسفة الألمان ممن كان لهم كبير أثر في دفع الحركة النقدية فيدرس زولفر ، وسلايرماخر ، وشوبنهاور ، وهيغل·

٣ ـ **المجلد الثالث : « عصر الانتقال »** ،ويتحدث فيه ويليك عن النقاد الفرنسيين في الفترة التي سبقت عام ١٨٥٠ ،لينتقل بعدها الى ساندت بيف والنقد الايطالي (سكالفين حتى أتينكا) ، والنقد الانكليزي (توماس كارلايل ، دي وينسي ، لي هنت ، ماكولي ، جون ستيورات ميل ، جون رسكين) ثم يتناول بعد ذلك النقد الأمريكي فيدرس ادغار آلن بو ، ورالف والدو امرسون ، ليعود الى القارة الأوربية متوقفاً عند النقاد الألمان من غريلبارتس الى ماركس (اضافة

الى انجلز) ومخصصاً فصلا للنقدالروسي يدرس فيه بوشكين وفيساريف بيلينسكي ٠

٤ ـ **المجلد الرابع : « أواخر القرن التاسعشر »** ، ويدرس فيه ويليك النقد الفرنسي الواقعي ولانطباعي والطبيعي فيتحدث عن أونورويه دوبلزاك ، وغوستاف فلوبير، وغي دوموباسان ، واميل زولا ،ولوميتر ، وأناتول فرانس ٠ ويخصص فصلا مطولا لتين ، ليعود بعدها الى التاريخ الأدبي الفرنسي فيدرس كلا من فردساند برونتيير وغوستاف لانسون ٠ ثم يناقش بعد ذلك مجموعة من النقاد الفرنسيين المغمورين، والناقد الايطالي سانكتس ومسيرة النقد الايطالي بعده ٠ وينتقل من ثم الى دراسة المؤرخين والمنظرين الانكليز وماتيو أرنولد ، وبيثوت وستيفن ، والى دراسة النقد الأمريكي فيناقش والتروسمان وجيمس رسل لويل ، ووويليم دين هاولز ٠ ويخصص فصلا لهنري جيمس وآخر للنقاد الروس الجذريين نيكولاي شيرنيشيفسكي ، ونيكولاي دوبرليوبوف ، وديمتري بيساريف ، وثالثاً للنقاد المحافظين (أبولون غريغوريف ، فيودور دوستويفسكي ، نيكولاي ستارخوف ، ألكسندر بوتبنيا ، وألكسندر فيسيلوفسكي ، وليوتولستوي) لينتقل الى النقد الألماني فيناقش في فصول متتابعة فيلهيلم ديلتي ، وفريدريك نيتشه ، وجورج براندیس ؛ ثم الى النقد الانكليزي والحركة الجمالية الانكليزية فيتحدث عن سوينبرن ، ووالترباتر ، وجون أوينكتون سيمونيدس وأوسكار رايلد وجورج سانسبري ، وجورج برناردشو ،لينهي المجلد الرابع بفصل عن الرمزيين الفرنسيين يناقش فيه كلا من شارل بودلير وستيفن مالارميه ٠

٥ ـ **المجلد الخامس : « القرن العشرون »** : ومن المتوقع صدوره قريباً كما أعلنت ذلك مجلة **التحقيق النقدي(٩)** (التي تصدرها جامعة شيكاغو) وسوف يركز فيه المؤلف على شخصيات هامة ك ت٠س٠ اليوت ، آي ، ايه ، ريتشاردز ، ف، ليفيس، وبنديتو كروتشه وآخرين ، كما ذكر في مقدمة كتابه « **تمييزات مفهومات أخرى في النقد** » الذي سبق ذكره ٠

* * *

وقفة غير متأنية عند « العصر الرومنتي » :

اذا ما تجاوز المرء مسألة وعي الرومنتيين بتميزهم عن غيرهم وبكونهم ينتسبون الى هذا التيار الواسع المدعو بالحركة الرومنتية والذي غمر أجزاء كبيرة من القارة الأوربية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، فانه يمكن القول ان الحركة الرومنتية قد انطلقت مع استدارة القرن التاسع عشر في ألمانيا وانكلترا قبل أن تنطلق في فرنسا وايطاليا حيث تأخرت الى العقدين الثاني والثالث منه٠٠

وفي هذا السياق ويمكن للمرء أن يشير الى مجلة **الأثنيوم** Das Athenaeum (١٧٩٨ ـ ١٨٠٠) نصف السنوية والتي كان يحررها في ألمانيا الأخوان شليغل وكانت صوت الرومنتيين الألمان الأوائل كنوفاليس وشلايرماخر ، والى « **البلاّد الغنائية** » (١٧٩٨) لكولردج ووردزورث ١٧٨٩ م Lyrical Ballads والى المقدمة النظرية التي كتبها هذا الأخير للمجموعة عام ١٨٠٠ • ولا شك أن كليهما وثيقة هامة لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة الحركة الرومنتية • فاذا ما تحولنا الى فرنسا فاننا نجد أن الحركة ـ على الرغم من أهمية الدور الذي لعبته مدام دوستايل من خلالها كتابها عن ألمانيا والذي ساهمت فيه بمقدار في التمييز بين الرومنتي والكلاسي متأثرة في ذلك بأوغست فيلهيلم شليغل ـ قد تأخرت حتى عام ١٨٢٧ عندما نشر فيكتور هوغو مقدمة مسرحيته **كرومويل** وعلى الرغم من أن هذه المسرحية لم تقدم على خشبة المسرح في حياة هوغو ، الا أنها هامة جداً لمقدمتها التي تعتبر بحق البيان الرئيسي للرومنتية الفرنسية • وقد دعا فيها هوغو الى حرية الفن التي هي في رأيه مناهضة بالضرورة لاستبدادية الأنظمة والقوانين والمخططات • وزعم فيها أيضاً أن الأعراف الجمالية التي تحكم اختيار موضوع المسرحية وأسلوب معالجتها قد حالت بين المسرح وبين كونه تصديراً حقيقياً للحياة حتى الآن وهي لذلك ينبغي أن تهمل في رأيه • فالجمال يوجد حيث يوجد القبح الذي يظهره ، والسامي يتضمن المشوه ، والفن الحقيقي ينبغي أن يكون حراً في التبه الى أضداد الحياة ، وأن لا يختار بالضرورة الجميل بل المميز • وهو لم يكتف بذلك بل دعا الى تحرير اللغة من أصفاد ما يسمى باللغة الشعرية ، والى تجاهل وحدتي الزمان والمكان في المسرح • فالحركة المسرحية والعمل المسرحي ينبغي أن يأخذا مكانهما على المنصة لا من خلال السرد المرافق. وحتى التأكيد على أهمية هذا التجديد فان الحقيقة التاريخية ينبغي أن تكون موضع احترام • ورغم هذه الثورة العارمة بنظرية الكلاسية الجديدة فان هوغو قد دعا الى الموضوعية في النقد •

وعلى أي حال فان الرومنتية الفرنسية لم تثبت أقدامها على الساحة الأدبية في باريس الا بعد عرض مسرحية هرناني Hernani (عام ١٩٣٠) في الخامس والعشرين والسابع والعشرين من شهر شباط في الكوميدي فرانسي • والحقيقة أن عرض هذه المسرحية كانت نصراً حاسماً للحركة الرومنتية الفرنسية ، فقد تسربت الأخبار بأن هذه المسرحية التي قدمت على منصة الكوميدي فرانسي مناهضة في موضوعها وأسلوب معالجتها وعروضها للأعراف المسرحية التقليدية السائدة ، فاحتشد في المسرح المؤيدون والمعجبون بهوغو اضافة الى التقليديين المحافظين ، واستطاع الفريق الأول أن يسجل بعدها انتصاراً أكد سيادة الرومنتية بعده • وهكذا استطاع هوغو ومن خلال الجمع بين النظرية والتطبيق أن يدفع بقضية الرومنتية في فرنسا الى هذا النصر •

أما في ايطاليا فان النقاش حول التمييز بين الرومنتي والكلاسي لم يبدأ الا عام ١٨١٦ وبتأثير مقالة نشرتها مدام دوستايل ٠

ومع ذلك فانه لا بد من التأكيد على أن هؤلاء لم يكونوا على وعي تام بأنهم رومنتيون، فالاسم قد أعطي لهم من قبل أعدائهم عندما وسم به أفراد مجموعة هايدل برغ (أرنيم ، برنتانو ، وغورس) من قبل مناهضتهم ، ثم ما لبثوا أن قبلوه ٠ بل ان أياً من الشعراء الرومنتيين الأوائل في انكلترا لم يع أنه رومنتي ، ودع عنك بعد ذلك ادراك صلته بالنقاش الذي كان يدور في القارة الذي ربما بدا له أمراً ليس بذي شأن ٠ ومهما كان الأمر فانه ممكن للمرء ـ كما يقول ويليك ـ أن يتحدث عن حركة رومنتية أوربية عامة اذا ما تبنى رأياً مجملا واسعاً عريضاً فاعتبر بكل بساطة أن الرفض العام للقانون الكلاسي الجديد هو القاسم المشترك بين مختلف فعاليات هذه الحركة ومختلف المشاركين في هذه الفعاليات ٠

ولكن هل بدأ هذا الرفض لمجمل النظرية الكلاسية الجديدة مع الحركة الرومنتية ، أي مع استدارة القرن التاسع عشر ؟

يبدو أن جواب ويليك على هذا السؤال هو بالنفي ٠ « فانبثاق مفهوم عاطفي للشعر ، وقيام وجهة النظر التاريخية ، والرفض الضمني لنظرية المحاكاة وللقواعد والأجناس (الأدبية) هي علامات تغيير حاسمة « دون شك » ولكنها في رأي ويليك ينبغي أن تنسب الى القرن الثامن عشر وليس للقرن التاسع عشر ٠ « فريدور وهردر هما الشخصيتان الرئيستان ، وليس ثمة من تغيير أساسي في المواقف النظرية وفي مفاهيم الشعر بينهما وبين شخصيات رومنتية ـ بالمعنى اكثر ضيقاً ـ كوردزورث أو هازليت أو مدام دوستايل ، أو فوسولو » ٠

وهكذا فان ويليك يمضي الى ما وراء هذه الحركة ليتتبع جذورها في القرن الثامن عشر وهو ما فعله في الجزء الأول من تاريخه القيم ٠ الا أنه من جهة أخرى لا يغض النظر عن انجازات الرومنتيين (ولا يقلل من شأنها) فرغم أن مجيئهم لم يكن يعني أي تغيير جذري من خلال المنظور الأوروبي الذي يختاره ويليك ، « الا أنه ـ وضمن هذه الحركة الواسعة جداً ـ قد انبثق في ألمانيا مفهوم جديد للشعر **رمزي وجدلي وتاريخي** ينبغي أن يعزى عامة الى كانت وغوته وشيلر » ورغم أن الأخوين شليغل كانا معاديين لشيلر الا أنهما رمّزا هذا الرأي وحوّراه بشكل جعله ذا صلة وثيقة بالحياة المعاصرة ٠ وهكذا أصبحت ألمانيا ـ التي تلقت بسلبية المذاهب الكلاسية الجديدة الرئيسة من فرنسا ـ مركزاً لاشعاع الفكر النقدي ٠ ولقد لعب أوغست فيلهيلم شليغل دوراً عظيماً في هذا وكان من أكثر المروجين لهذا الفكر تأثيراً ٠

هذا عن ألمانيا ، ولكن ماذا عن انكلترا ؟وما العلاقة بين هذا الفكر النقدي الألماني وبين الرومنتيين الانكليز ؟

يبدو أن الأحوال هناك كانت مختلفة تماماً عنها في القارة ، فقد طوّر جنري ووردزورث المفهوم التجريبي للشعر والموروث عن القرن الثامن عشر ، واقتصرت الصلة الأوربية على صموئيل تايلور كولردج الذي نجد عنده ـ دون سائر الرومنتيين الانكليز ـ مفهوماً للشعر جدلياً ورمزياً معاً ، استورد دون شك من ألمانيا ، رغم أن كولردج ـ كما يشير الى ذلك ويليك ـ قد أغناه بقراءة متعمقة للتراث الأفلاطوني الكامن وراء الأفكار الألمانية ، أي بالعودة الى الينابيع والمصادر الاغريقية الأولى ·

وهكذا فقد بقي كولردج معزولا في عصره وبلده ورغم أنه أثر على وردز ورث وهازليت وكارلايل فيما بعد ، الا أن هؤلاء ـ وخاصة وردز ورث وهازليت ـ بقوا ضمن التقليد البريطاني النفسي التجريبي ، بل ان التقليد الانكليزي في النقد قد مضى في مساره بعد موت كولردج غير متأثر تقريباً بأفكاره ·

واذا ما غادر المرء انكلترا الى فرنسا وايطاليا حيث تأخرت الحركة الرومنتية في انطلاقتها هناك ، فانه لا بد وأن يعترف بالدور الذي لعبته مدام دوستايل من خلال كتابها عن ألمانيا الذي ظهر عام ١٨١٣ ، ولكنها يمكن أن توصف ـ كما هو الشأن فيما يتعلق بخصمها شاتوبريان ـ بأنها من مقتضي المفهوم العاطفي للشعر كما يقول ويليك · وهكذا فاننا ينبغي أن ننتظر مجيء هوغو بمقدمته لمسرحية كروموبل عام ١٨٢٧ حتى نقع ربما لأول مرة على مفهوم للشعر يمكن أن يوصف بأنه رمزي وجدلي في آن واحد ·

أما في ايطاليا فقد كانت الرومنتية مجرد شعار يدعو الى الحقيقة والمعاصرة في الأدب · وقد استبق الرومنتيون الايطاليون ما اعتنقه أنصار « **ألمانيا الفتاة** » وأوائل الواقعيين الفرنسيين فيما بعد · ورغم أن فوسكولو لم يكن رومنتياً في معتقده ، الا أنه كان قريباً من مدام دوستايل في مفهومه للشعر وفي ادراكه لوجهة النظر التاريخية · وفي هذا السياق فانه لا بد من الاشارة الى تميز ليوباردي بمفهوم ذاتي غنائي للشعر ، رغم أننا لا نجد في مسحنا لبدايات الرومنتية أي أثر للرأي الرمزي الجدلي التاريخي في ايطاليا قبل مجيء دوسانكتيس ·

★ ★ ★

معنيان مختلفان للرومنتية :

وهكذا فان ويليك يتحدث عن الرومنتية بمعنيين مختلفين ، واسع وضيق : فبالمعنى الواسع للكلمة يمكن القول **ان هذه الحركة كانت ثورة على الكلاسية الجديدة ، وعنت رفضاً للتقليد اللاتيني وتبنياً لرأي في الشعر متمركز حول التعبير وتوصيل العاطفة ، وقد انبثق هذا الرأي في القرن الثامن عشر وشكل تياراً عريضاً غمر جميع الأقطار الأوربية** • والحقيقة أن كتاب ويليك يبدأ بجذور الرومنتية ويفترض ضمنياً أن **النصف الثاني من القرن الثامن عشر قد شهد ولادة النقد الحديث** الذي يؤرخ له في كتابه ذي المجلدات الخمسة •

وعلى أي حال فان هذا الفهم العريض والواسع للرومانتية لا يغني عن الفهم المحدد والأكثر دقة لما تميزت به كحركة كان لها تأثير بعيد في ولادة النقد الحديث • وهكذا يمضي ويليك الى المعنى الأكثر تحديداً فيشير الى أنه ــ وبالمعنى الضيق للكلمة ــ يمكن الحديث عن نقد رومنتي بمعنى قيام رأي **جدلي ورمزي للشعر ، انبثق من المشابهة العضوية ، وطوّر من قبل هردر وغوته ولكن مضى الى أبعد من ذلك الى الرأي القائل وحدة الأضداد ونظام الرموز** •

والحقيقة أن رأياً كهذا ــ كما يعترف ويليك ــ كان عرضة لخطر تحوله الى مفهوم صوفي ومن ثم فقده لأية حقيقة جمالية • ومن هنا كانت أهيمة دور الأخوين شليغل والنقاد الآخرين الذين التفوا حولهما فقد استطاعوا من خلال مجهوداتهم المشتركة في النهاية تطوير هذا المفهوم بشكل وقى حدوده من العاطفية والطبيعية والصوفية وجعله يجمع **بنجاح بين الرمزية وبين الادراك الأصيل للتاريخ الأوفى** • وهذا الرأي كما يقول ويليك ــ رأي **قيم وصحيح في مجمله** ولا نكاد نجده خارج ألمانيا الا عند كولردج وهوغو •

وهنا ينبغي التأكيد على أن **رينيه ويليك ليس مؤرخاً محايداً** ، فهو يقول في خواطره حول كتابه « **ان فكرة تقديم تاريخ حيادي تماماً ، وشرحي صرف تبدو لي وهماً** » ولذلك فان اهتمامه بتاريخ النقد الحديث مرتبط بأهمية هذا التاريخ وصلته بالنقد الراهن • **وهو يريد من خلال مسحه للتطورات التي مر بها النقد الحديث خلال القرنين الماضيين أن يغني فهمنا للوضع النقدي الراهن** ولهذا فانه خصص كتابه لوصف هذا المفهوم الجدلي والرمزي والتاريخ للشعر (والذي هو محور الحركة الرومنتية بالمعنى الضيق للكلمة) بكل تضمناته وغناه •

وهكذا فهو يبدأ بالأخوين شليغل باعتبارهما من أكثر المسلمين أهمية في بلورة هذا الرأي ، ويعالجهما كلا على انفراد حسب أولوية الأفكار التي دعيا اليها ، فيدرس في البداية فرديديك وهو الأخ الأصغر (١٧٧٢ ــ ١٨٢٩) ثم ينتقل الى فيلهيلم أوغست[1] (١٧٦٧ ــ

١٨٤٥) ليتوقف بعدها عند الرومنتيين الألمان الآخرين البارزيـن فيـدرس الفيلسـوف شيلنغ، والشاعر الصوفي نوفاليس والصديقين فاكنرودر وتيك ، لينهي الجـزء الأول مـن حركة الرومنتيين الألمان بدراسة جان بول الذي ينهض بنفسه علماً بارزاً فيها • وهو يرى في حصيلة أفكاره م النقدية والجمالية خلفية هامة لفهم فكر كولردج النقدي أكبر أعـلام النقد الانكليزي في تلـك الفترة • الا آنـه يفضل أن يبدأ بتناول مجموعة من الناقد الأقل شأناً منه حتى يوضح الجانب الآخر من خلفية كولردج الثقافية والسياق الذي نمت من خلاله أفكاره في الوحدة العضوية • وهكـذا فهـو يدرس مجموعة أفكار نقاد بين جفري وشيلي وبعدها يتوقف ورددزورث ليحلل موقفه الذي غالباً ما أسيء فهمه • ثم يحلل باسهاب نقد كولردج وينتقل بعد ذلك الى معالجة هازليت ولامب وكيتس اللاين يؤلفون في رأي ويليك مجموعة متميزة اعتنقت مذاهب متماثلة وتبنت نحواً جديداً من النقـد الاستعاري المجـازي الذي برهن على أنـه ذو تأثير كبير جـداً في القرن التاسع عشر كله •

وما دام ويليك قد سلك **المسلك الزمني** في تتبع آراء الرومنتيين فمـن الطبيعـي أن ينتقل الى الرومنتية الفرنسية فيناقش مـن آرهصوا بأفكارها ومهدوا الطريق لانتصارها الذي تحدثنا عنه من قبل • وهكذا فانه يدرس مدام دوستايل وشاتوبريان في فصل واحد على الرغم من التباين الظاهر لأفكارهما ، فكـلاهما ـ كما يرى ويليك ـ يشترك في اعتنـاق مفهوم عاطفي للشعر • ثم يدرس هوغو وستاندال لدفاعهما المشترك عن القضية الرومنتية رغم أن لكل منهما رأياً مختلفاً عن الآخر فيما يتعلق بطبيعة الشعر •

أما في الفصل العاشر فان ويليك يمضي لدراسة النقاد الايطاليين الذين تأثروا بمدام دوستايل وأوغست شليغل ليعود في الفصل الحادي عشر مرة ثانية ويدرس التطورات الأحدث زمناً والتي اقتصر تأثيرها على ألمانيـا وحدها، فيناقش المفهوم الأسطوري الجمعي للشعـر عند جاكوب غريم ، ومفهوم الشعر كمفارقـة عند زولفر ، والنظرية التعبيرية للفن عنـد شلايرماخر والمفهوم الجـديد للمأساة عنـد شوبنهور ، والتركيب المجمل للتأملات الألمانية في علم الجمال عند هيغل في نظامه المتعاظم ،لينهي كتابه بخاتمـة ينظـر فيها في الأفكـار الأخرى في عدد من الأقطار الأوربية ويستشرف آفاق التطورات الجديدة فيها •

★ ★ ★

وبحلول ثلاثينات القرن التاسع عشـر مضى جيل الرومنتيين العظيم ، فقـد توفي في ألمانيا على التوالي كل من فريدريك شليغل(١٨٢٩) وهيغل (١٨٣١) وغوته (١٨٣٢) ، وفي بريطانيا مضى هازليت (١٨٣٠) وكولردج (١٨٣٤) ولامب (١٨٣٤) ، وفي ايطاليـا قضى فوسكولو (١٨٢٧) وليوباردي (١٨٣٦)• أما من بقي فقد لاذ بالصمت على الأقـل

كناقد • فغدا أوغست فيلهيلم شليغل مختصاباللغة السنسكريتية ، والتفت وردزورث الى تنقيح شعره ، وتوقف منزوني على الكتابة •وأما في فرنسا فقد شهدت سنة ١٨٣٠ انتصار مسرحية **هرناني** من جهة وثورة تموز (التي تلت حل شارل العاشر لمجلس النواب الفرنسي في عام ١٨٢٩ اثر مهاجمتهم لسياسته الرجعية، تلك الثورة التي انتهت بتخلي الملك عن العرش لحفيده ، وقيام الملكية الدستورية وتولي لوي فيليب العرش في شهر آب من العام نفسه أي عام ١٨٣٠) وكلاهما كان مؤشراً على تغير في الجوين الثقافي والسياسي في فرنسا • وربما كان أهم تغير هو التحول نحوالتضخمات السياسية للأدب ونحو التفكير فيما يمكن أن يقدمه من خدمة للمجتمع •

وهكذا غدا الجو مهيأ لمرحلة جديدة في النقد الحديث هي موضوع الجزء الثالث من كتاب رينيه ويليك العظيم •

★ ★ ★

خاتمة وتقويم :

وبعد هذا العرض السريع لمحتويات الكتاب جملة ، وللمجلد الثاني منه بشيء محدود من التفصيل ، لا يمكن للمرء الا أن يشير الى أن الكتاب لا ينفرد بكونه **الكتاب الوحيد** الذي يتجاوز بأهمية اسهامته في دراسة النقد الحديث كتاب سانتسبري « **تاريخ النقد والذوق الأدبي في أوربا** » والذي يقع في ثلاثة أجزاء نشرت بين عامي ١٩٠٠ ـ ١٩٠٤ • بل ينفرد بكونه أيضاً **تاريخاً مقارناً حقاً** فهو لا يقتصر على مادة محدودة من المادة النقدية الخاصة بتقليد ثقافي معين ، بل يمتد ليشمل باهتمامه انكلترا وفرنسا وألمانيا وايطاليا واسبانيا وروسيا والولايات المتحدة (الجزء الرابع ،ثم الجزء الخامس) ليقدم خلاصة لتفاعل الفكر النقدي في هذه الأقطار بلغة طيعة سهلة يغلب عليها الوضوح والدقة والعمق والكثافة، ويكفي أنه يتيح لدارس اللغة الانكليزية هذه الفرصة النادرة للاطلاع على عصارة النقد العالمي عندما يقدمها له مزورة بنصوص من مختلف اللغات مترجمة بدقة وأمانة ووضوح الى الانكليزية •

واضافة الى ذلك فان الكتاب يتميز **بالتأكيد على القضايا النظرية والجمالية** • ولأن ويليك أكثر من ناقد ، فهو من **أبرز فلاسفة النقد الحديث وأعظم مؤرخ له** ، فانه يستطيع أن يمسح آفاق هذا النقد ويسبر أغوار مادته الفنية المتنوعة ليخرج منها بنظام واضح ، يمكن استيعابه من قبل القارىء دون كبير مشقة • بل أن المرء لا يبالغ ان زعم بأن ويليك من أبرز مؤرخي تاريخ الأفكار الأدبية والنقدية في العالم قاطبة •

وحتى يوسع ويليك مجال الفائدة أمام قارئه ، فانه يختم كل جزء من أجزاء كتابه العظيم **بجدول زمني للأعمال النقدية بلغاتها الأصلية** ، وهو بذلك يمكّن القارىء الملم بهذه اللغات من العودة الى هذه الأعمال والتوسع فيها اذا ما أراد • والحقيقة أن اهتمام ويليك بهذا الجانب من العمل النقدي واضح في غالب كتبه وخاصة في كتابه « نظرية الأدب » الذي ربما ضم أفضل بيبليوغرافيا نقدية صدرت بين دفتي كتاب(١٠) •

ان القارىء لهذا الكتاب لا يسعه الا أن يبدي الأسف الشديد حقاً لعدم التنبه على نحو كاف من قبل في الأوساط الثقافية العربية رغم جليل أهميته ، وعدم الشروع في ترجمته، وبخاصة ان كتباً أخرى هي بالتأكيد أقل شأناً منه ـ قد أخذت طريقها الى القارىء العربي• ولعل الوقت لا يطول ـ على أي حال ـ قبل أن تمضي جهة ثقافية عربية ما الى تبني ترجمته واظهاره في طبعة عربية محققة وموثقة ، كم نحن بحاجة اليها •

هوامش :

١ ـ من ابرز الكتب المهداة له كتاب ويمزات وبروكس :« النقد الأدبي : تاريخ موجز » في اربعة أجزاء ترجمها الى العربية محيي الدين صبحي وراجعها د• حسام الخطيب،وقد صدرت الترجمة عن المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في دمشق ، بين عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٧•

٢ ـ من أبرز المجلدات التي اختارته عضواً في هيئة تحريرها« ب ، ت ، ل : مجلة لفن الشعر الوصفي ونظرية الأدب » و « فن الشعر اليوم » و « الأدب المقارن » « دراسات سلافية » و « دراسات في الأدب الانكليزي » وغيرها •

٣ ـ اضافة الى عضوية ويليك في عدد من هذه الهيئات ، فقد تولى رئاسة « الرابطة الدولية للأدب المقارن » و « رابطة الأدب المقارن الأمريكية » و « رابطة اللغة الحديثة »و « الجمعية التشيكوسلوفاكية للفن والعلوم في أمريكا » و « رابطة بحث الانسانيات الحديثة » وغيرها •

٤ ـ يمكن الاطلاع على ثبت كامل بمنشورات ويليك بالانكليزية وغيرها في كتابيه « مفهومات النقد » و « تمييزات : مفهومات أخرى في النقد » وباللغة التشيكية في كتابه« مقالات في الأدب التشيكي » •

٥ ـ انظر على سبيل المثال : رينيه « خواطر حول كتابي تاريخ للنقد الحديث » في الموقف الأدبي (دمشق) ، العدد ١١٨، شباط ١٩٨١ ، ص ص ١٥ ـ ٢٤ من ترجمة صاحب هذه السطور •

٦ ـ انظر : د• حسام القطيب : « قضايا الأدب المقارن » في كتابه « ملامح في الأدب والثقافة واللغة » ، دمشق ١٩٧٧ ، ص ١٥٣ •

٧ ـ كامبريدج ١٩٨١ •

٨ ـ انظر كتابه « مفهومات النقد » ، ص ص ١٢٨ ـ ٢٢١ •

٩ ـ انظر العدد ٤ ، من المجلد الرابع ، صيف عام ١٩٧٨ ،ص ٦١٢ •

١٠ـ انظر كتابه « نظرية الأدب » ص ص ٣١٧ ـ ٣٥٧ من الطبعة الانكليزية الثالثة الصادرة عام ١٩٦٣ • وقد أحسن المترجم والمراجع صنعاً بأن أبقى عليها في الطبعة العربية التي صدرت عام ١٩٧٢ •

ملحـــق

ثبت بمؤلفات رينيه ويليـك التي أشـير الى معظمها في النص

١ ـ في النقد (بما فيها المقالات الهامة) :

1 — "Literary Criticism and Philosophy", in **Scrutiny** (Cambridge), 6, 1937; reprinted in **The Importance of Scrutiny,** New York, Stewart, 1948.

2 — **Theory of Literature,** with Austin Warren. New York, Harcourt Brace, 1949.
"The Criticism of T. S. Eliot", in **Sewanee** Review (Tennessee), 64, 1956.

3 — **The Concept of Realism in Literary Scholarship.** Groningen, J. B. Wolters, 1961.

4 — **Essays on Czech Literature.** The Hague, Mouton, 1963 (contains a bibliography of Wellek's writings in Czech through 1963).

5 — **Concepts of Criticisms,** edited by Stephen G. Nichols, Jr. New Haven, Connecticut, and London, Yale University Press, 1963 (contains a bibliography of Wellek's writings in English through 1963).

6 — **Confrontations : Studies in the Intellectual and Literary Relations Between Germany, England, and the United States During the Nineteenth Century.** Princeton, New Jersey, Princeton University Press, 1965.

7 — "On Rereading I. A. Richards", in **Southern Review** (Baton Rouge, Louisiana), 3, 1967.

8 — **Discriminations : Further Concepts of Criticism.** New Haven, Connecticut, and London, Yale University Press, 1970 (contains a bibliography of Wellek's writings through 1969).

9 — "Kenneth Burke and Literary Criticism", in **Sewanee Review** (Tennessee), 79, 1971.

10 — "R. P. Blackmur Re-Examined", in **Southern Review** (Baton Rouge, Louisiana), 7, 1971.

11 — "John Crowe Ransom's Theory of Poetry", in **Literary Theory and Structure : Essays in Honor of William K. Wimsatt,** edited by Frank Brady, John Palmer, and Martin Price. New Haven, Connecticut, and London, Yale University Press, 1973.

12 — "Cleanth Brooks, Critic of Critics", in **Southern Review** (Baton Rouge, Louisiana), 10, 1974.

13 — "Yvor Winters Rehearsed and Reconsidered", in **Denvre Quarterly,** 10, 1975.

14 — "The Literary Theory of William K. Wimsatt", in **Yale Quarterly Review** (New Haven, Connecticut), 66, 1976.

٢ ـ في تاريخ الأدب والنقد :

15 — **Immanuel Kant in England 1793-1838.** Princeton, New Jersey, Princeton University Press, 1931.

16 — **The Rise of English Literary History.** Chapel Hill, University of North Carolina Press, 1941.

17 — **A History of Modern Criticism 1750-1950:**

1. **The Later Eighteenth Century.** New Haven, Connecticut, Yale University Press, and London, Cape, 1955.
2. **The Romantic Age.** New Haven, Connecticut, Yale University Press, and London, Cape, 1955.
3. **The Age of Transition.** New Haven, Connecticut, Yale University Press, 1965; London, Cape, 1966.
4. **The Later Nineteenth Century.** New Haven, Connecticut, Yale University Press, 1965; London, Cape, 1966.

٣ ـ تحرير وترجمة :

18 — Editor, **Dostoyevesky : A Collection of Critical Essays.** Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice Hall, 1962.

19 — Translator, with Lowry Nelson, **Franz Kafka and Prague,** by Pavel Eisner, New York, Arts, 1950.

صدر حديثا

عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق

مقصد العاصي

قصص : أديب نحوي

الموقف الأدبي

العـدد ١٣٤ ـ حزيران ١٩٨٢